الصيغة الاسرائيلية ـ الاميركية تهدف الى عزل أي ممثلين من الشعب الفلسطيني في القدس والخارج قسراً، بغرض استبعاد البحث في هاتين القضيتين، وحصر المفاوضات في الحقوق المدنية والادارية والمعيشية لابناء الضفة وغزة، باعتبارهم سكاناً يقيمون على أرض ليست أرضهم، ولا سيادة لهم عليها، وهم تابعون، بالهوية والمواطنية، لدولة أخرى هي الاردن. وبذلك يهدف الموقف الاسرائيلي، عبر لعبة التمثيل، الى ضرب ثلاثة عصافير بحجر واحد: الاقرار الضمني بالسيادة الاسرائيلية على أرض الضفة وقطاع غزة ومعاملة شعبها كسكان «أجانب» يتبعون دولة مجاورة، والاقرار الضمني بضمّ اسرائيل للقدس العربية ما دام موضوعها سيبقى خارج البحث ولو في المرحلة الاولى، والاقرار باستبعاد حقوق اللاجئين من خلال استثناء أي ممثل منهم. وكل ذلك قبل بدء المفاوضات!

ولا ريب في ان سياسة اسرائيل تراهن على ان ما يسمّى الحل الانتقالي الذي يقود الى الحكم الذاتي وبدون القدس والخارج سوف لن يكون انتقالياً، بل سيتحوّل الى حل دائم؛ لأنه سيترافق مع هذا الحل الانتقالي، ووفق خطة المسارين الاميركية، وسوف يسبق هذا الحل، على الارجح، انهاء وتحقيق، الحل العربي ـ الاسرائيلي، وانجاز التطبيع الكامل بين معظم الدول العربية واسرائيل، مع استكمال الترتيبات الأمنية والاستراتيجية الاميركية التي ستعمّ، وتشمل، المنطقة بأسرها.

ومن هنا يتبيّن بطلان مزاعم من يقول ان التمثيل هو شكل وان الحقوق هي جوهر، وان بمقدورنا التساهل في الشكل لصالح التمسّك بالجوهر. ان الاصرار على كون قضية القدس، جوهراً وشكلاً، موضوعاً وتمثيلاً، جزءاً من عملية السلام منذ بدايتها هو عنصر حيوي وأساسي لا يمكن التساهل فيه، وكذلك حقوق وتمثيل شعبنا المشرّد خارج وطنه. ان ذلك هو الذي يصون الحقوق في الجوهر، ولا يمكن لأحد ان يساوم عليها، او تحقيق الفصل بينها وبين التمثيل الفلسطيني. وأسوأ ما يمكن ان يحدث هو الموافقة، مثلاً، على ادراج ممثّل عن القدس ضمن الوفد الفلسطيني، مع القبول باستبعاد البحث في قضيتها وفصلها عن قضية باقي المناطق المحتلة، الى حين المرحلة الثانية الموعودة! بذلك نكون حقاً قد قبلنا بالشكل على حساب الجوهر والمضمون.

ان الحذر الشديد والصلابة في معالجة هذه المسائل هما عنصران اساسيان في صياغة الموقف الوطني الفلسطيني، حيث ان كل خطأ تكتيكي، وصغير، سيكون له حجم وأثر الكارثة الوطنية على مستقبل شعبنا وحقوقه.

وتبرز، في هذا السياق، قضية الوفد المشترك الاردني ـ الفلسطيني. ومن الهامّ، بادىء ذي بدء، ان نؤكد ان اسم الوفد، كما تروّج له الولايات المتحدة الاميركية واسرائيل، ينطوي على خديعة كبرى، حيث ان التدقيق في «الشروط» الاسرائيلية يكشف ان الغرض هو تشكيل وفد أردني يضمّ فلسطينيين (باعتبارهم مواطنين اردنيين مقيمين على أرض تخضع للسيادة الاسرائيلية). والهدف الاسرائيلي وراء ذلك هو ضرب الهوية الوطنية الفلسطينية للاجهاز على حق تقرير المصير للشعب الفلسطيني، والتعامل معه كأقلية سكانية تقيم على أرض ليست لها، وذات حقوق مدنية وادارية. ومن هنا أهمية التعامل مع صيغة الوفد المشترك ردّاً على هذه المناورات الاسرائيلية والاميركية بما يصون الهوية الوطنية الفلسطينية ووحدة التمثيل الفلسطيني، وعلى ان مرجعية هذا التمثيل تبقى منظمة التحرير الفلسطينية، ممثلاً شرعياً ووحيداً. وذلك لا يستبعد، ولا يستثني، ووفق هذه الاسس في حال ضمانها، اقامة أرقى أشكال التنسيق والعمل المشترك بين البلدين الشقيقين، الاردن وفلسطين.

ان التقاء الموقف الوطني الفلسطيني ووحدته وفق هذه الاسس كلّها يتيح المجال كذلك